اغلاط العرب

(تابع لما قبل)

وقال عمر بن ابي ربيعة

فقلتُ لجنّادٍ خذ السيف واشتمل عليهِ برفقٍ وارقب الشمس تغربِ

جزم تغرب على انهُ جواب الامر قبلهُ وانما يُجزَم الجواب اذا كان على معنى الجزآء وهو محالٌ هنا . وعكسهُ قول أُميّة بن ابي الصلت

اطيعوا الرسولَ عبادَ الاله م تنجون من شرّ يومٍ أَلَمْ

برفع تنجون وجزمهُ في هذا الموضع واجب لانهُ جواب اطيعوا وهو نكتة البيت كما لا يخفى . ويتصل بهذا قول لبيد في معلقتهِ

ترّاكُ امكنةٍ اذا لم ارضَها او يرتبطْ بعضَ النفوس حِمامها

بجزم يرتبط وهو منصوب لوقوعهِ بعد أو التي هي بمعنى الاّ أَنْ . قال التبريزي وقيل يرتبط في موضع رفع (كذا) الا انهُ اسكنهُ لانهُ ردّ الفعل الى اصلهِ لان اصل الافعال ان لا تُعرَب وانما أُعربت للمضارعة . اه . وانظر اين هذا من علم البدويّ . ومنهُ قول زُهير بن ابي سلمى صاحب الحوليّات

كفعل جوادٍ يسبق الخيلَ عفوُهُ فيُسرِعْ وان يجهدْ ويجهدنَ يبعدِ

بجزم يسرع وهو معطوف على يسبق المرفوع . ولعلهُ يُعتذَر عنهُ بانهُ سكّن آخر الفعل لئلا يجيء هناك لفظ « رِعُوَ » وهو بناءٌ فيهِ ضمٌّ بعد كسر على ما تقدم في قولهِ « ألا تُمسِك عليَّ » . ومن هذا قول نُصَيب

وما ذاك من شيءٍ اكون اجترمتهُ اليها فتُخبِرْني بهِ حيث اعلمُ

باسكان الرآء من تخبر • ومنهُ وان لم يتأتَّ فيهِ العذر المذكور قول ليلى الاخيليـة

كأن لم تكن تقطعْ فلاةً ولم تُنِخ قلاصاً لدى بأوٍ من الارض غابرِ

والامثلة من ذلك كثيرةٌ لا حاجة الى استيفآئها وقد مرّ شيءٌ منها فيما سبق • وقال عمر بن ابي ربيعة

درجت عليهِ العاصفات فقد عفت آياتُـهُ الاّ ثلاثٌ جُثَّـمُ

برفع ثلاث مع انهُ مستثنًى بعد كلامٍ موجب وكان حقهُ النصب كما قال بالشليل الذي اتى عن يميني قد تعفّت الاّ ثلاثاً جثوما

ومن ذلك قولهُ ايضاً وقيل هو ليزيد بن الحكَم الثقفيّ

امسى باسمآءَ هذا القلب معمودا اذا اقول صحا يعتـادهُ عِيدا

بنصب عيد وصوابهُ الرفع لانهُ فاعل يعتاد كما قال الآخر « والقلب يعتادهُ من حبها عيدُ » ومعنى العيد ما اعتاد الانسان من حزنٍ او شوقٍ او غير ذلك • ومن الغريب ان صاحب لسان العرب استشهد بهذا البيت في مادة (ع و د) ولم يتعرض فيهِ لشيء مع ان الخطأ واقعٌ في محلّ الشاهد منهُ • وقال عنترة

فيها اثنتان واربعون حلوبةً سوداً كخافية الغراب الاسحمِ

كذا في الرواية المتعارَفة وصوابهُ سودٌ بالرفع او سَوْدَا بالقصر والافراد على انهُ نعت للعدد او المعدود • وقال عمرو بن كلثوم

وان غداً وان اليومَ رهنٌ وبعد غدٍ بما لا تعلمينا

عطف بعد غد على غد وبعد من الظروف التي لا تتصرف فلا يقع مبتدأً

ولا موضع مبتدأ . ومن هذه القصيدة

ورثتُ مهلهلاً والخيرَ منهُ زهيراً نِعْمَ ذخر الذاخرينا

الخير هنا صيغة تفضيل واصلهُ أَخْيَرَ على أَفعَل فحُذفت الهمزة لكثرة الاستعمال كما حذفت من أشرّ ونُقلت فتحة اليآء الى الخآء . يريد ورثت مهلهلاً وورثت الرجل الذي هو خيرٌ منهُ فجمع بين أَلْ ومِنْ مع افعل التفضيل وهو مما صرّحوا بمنعهِ فتقول زيدٌ افضل من عمرو وزيدٌ الافضل ولا تقول زيدٌ الافضل من عمرو . وقد اعتذروا عنهُ بان أل هنا زائدة وما ندري لمَ اختصّت زيادتها بهذا البيت ولم تُطلَق في كل تركيبٍ جآء على هذه الصورة

وهذا القدر كافٍ من هذا النوع ومن تفقد شواهد النحو وراجع شروح دواوين الشعرآء وجد من ذلك ما هو اغرب مما ذكرناهُ وابعد مذهباً في الخروج عن قياس امثالهِ الا انهُ قلما تمرّ بهِ واحدةٌ من تلك الشوارد الا يجدهم قد تمحلوا لها وجهاً من المحال او استنبطوا لها قاعدةً تهدم قاعدة بابها فلم يبقَ في الكلام شذوذٌ ولا ضابط وعادت قواعد النحو واقيسته ضرباً من التخليط . وما نظن ابن خلدون عنى بخرفشة النحاة الا هذه السخافات التي اصبحت بها قضايا هذا العلم مثلاً في الركاكة والوهن ومما يُستلطَف ايرادهُ هنا قول ابن فارس الرازي

مرّت بنا هيفآء مجدولةٌ تركيةٌ تُنمَى لتركيّ

ترنو بطرفٍ فاتنٍ فاترٍ أضعفَ من حُجّةِ نحويّ

ونختم هذا الفصل بذكر شيءٍ من اغلاطهم في الوزن والقافية وانما

ننظر فيما سنأخذهُ عليهم الى مباينتهِ للمألوف عند جمهورهم او شذوذهِ عن منهج الطبع دون التفاتٍ الى موافقتهِ لاوضاع الخليل او مخالفتهِ لها ولكننا لا بد ان نعبّر بمصطلح الخليل بياناً لموضع الاخذ ووجههِ . فمن ذلك قول الحارث ابن ظالم المُرّيّ

همّت عُكابةُ ان تضيمَ لجَيماً فأبَتْ لجيمٌ ما تقول عُكابَهْ

فانهُ جآء بعروض الكامل مقطوعةً في غير التصريع والقطع ان تُحذَف نون متفاعلن وتسكّن لامها فتصير متفاعلْ ويعبَّر عنها بفَعِلاتُنْ . وهذا انما يقع في ضرب البيت اي في متفاعلن الاخير منهُ كما في هذا البيت نفسهِ ولا يجوز وقوعهُ في غيرهِ من الاجزآء . والتصريع ان يكون صدر البيت مقفًّى بقافية عجزهِ فيكون كأنهُ مؤلَّفٌ من عجزين كقولهِ

أرسوم دارٍ ام سطور كتابِ دُرِست بشاشتها مع الاحقابِ

ومثل بيت الحارث قول الربيع بن زياد العبسيّ

افبعد مقتل مالك بن زُهَيرٍ ترجو النسآء عواقب الاطهارِ

وقولهُ ايضاً من هذه القصيدة

ومجنَّباتٍ ما يَذُقنَ عَذُوفاً يقذفنَ بالمهرات والامهارِ

ويسمى البيت حينئذٍ مُقعَدًا . وعكس هذا قول ذي الاصبع العدواني

يا صاحبَيَّ قفا قليلاً وتخبَّرا عني لميسا

فجآء بعروض الكامل المجزوء مرفَّلةً كالضرب . والترفيل ان يزاد سببٌ خفيف على متفاعلن فتصير متفاعلاتن وهو مخصوصٌ بالضرب كالقطع فيما سبق وانما يجوز وقوعهُ في العروض اذا كان البيت مصرّعاً ايضاً كقولهِ

غيري على السلوان قادر وسواي في العشاق غادر

ومن ذلك قول امرأةٍ من بني مخزوم وهو من شعر الحماسة

ان تسألي فالمجد غير البديعِ قد حلّ في تيمٍ ومخزومِ

البيت من السريع ووزنهُ في الدائرة مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ لكن عروض هذا البحر لا تستعمل الاّ مكشوفةً مطوية والكشف حذف السابع المتحرك كالتآء من مفعولاتُ والطيّ حذف الرابع الساكن كالواو فتصير مفعولاتُ بالكشف مفعولا وبالطيّ مَفْعُلا فيعبَّر عنها بفاعلن وقد جآءت في عروض هذا البيت على الاصل . ومثلهُ البيت الذي يليهِ وهو قولها

قومٌ اذا صُوِّتَ يومَ النزالِ قاموا الى الجُرْد اللهاميمِ

وانما يجوز استعمال مفعولات تامّةً في السريع المشطور وحينئذٍ يلزمها الوقف وهو تسكين التآء لوقوعها عروضاً وضرباً معاً كقولهِ

اشكو الى الله العزيز الجبّارْ ثم اليك اليوم بُعدَ المُستارْ

وحاجةَ الحيّ وقطَّ الأسعارْ

وانشد في الصحاح للنظّار الفقعسيّ وقيل هو للمرّار الاسديّ

كأَنني فوق اقبَّ سَهُوَقٍ جابٍ اذا عشَّر صاتِ الإرنانْ

وقد جمع فيهِ بين بحرين لان الشطر الاول من الرجز والثاني من السريع الا انهُ جآء بضربهِ على مفعولاتْ وهو غلطٌ آخر لانهُ لا يجيءُ كذلك الا في المشطور كما قدمناهُ . ومما يحسن سوقهُ هنا ما جآء في لسان العرب وقد روى قول الشاعر

بكى بعينيك واكفُ القطرِ ابنَ الحواري العاليَ الذِكرِ

فقال انما اراد ابن الحواريّ (اي بتشديد اليآء) فحذف الاخيرة من يآءي النسب اضطراراً . اه . قلنا وعلى هذا يصير البيت من بحرين ايضاً لان صدرهُ من المنسرح ووزنهُ مستفعلن فاعلاتُ مفعولن وهو بحر سائر القصيدة وعجزهُ بعد « حذف الاخيرة من يآءي النسب » يصير وزنهُ مستفعلن مستفعلن فِعْلُنْ وهو من السريع . وانما يُرَدّ الى المنسرح بان تُجعَل اليآء مشدَّدةً على اصلها وحينئذٍ يكون وزنهُ مستفعلن مفعولاتُ مفعولن كما ترى ولا ضرورة في البيت (ستأتي البقية)

المنطاد القيّد[1]

لا نزيد القرآء علماً بما لم يزل اهل البحث والتجربة يعانونهُ منذ اختُرع المنطاد للوصول الى ذريعةٍ يملكون بها قيادهُ في عنان الجوّ ويصرّفونهُ في الوجهة التي يختارونها لما هو معلومٌ ورآء ذلك من الفوائد التي لا تقدَّر بخروج الانسان الى هذا الفضآء الفسيح الجوانب يسعى فيهِ فوق الجبال ويخطو فوق اللجج لا يعترضهُ حاجزٌ من حزون الارض ولا يقف في وجهه سدٌّ من جمد البحار ولا يستوقفهُ تخم مملكة ولا سور مدينة . فلا جرَم ان الوصول الى تمام هذا الاختراع مما تنقلب بهِ حال الامم وتتغير نسبة الممالك وتتبدل مواقف الدول لان الدولة التي تقبض على عنان المنطاد في الجوّ تقبض على زمام الممالك كلها وتملك كرة الهوآء فتملك ما دونها من الارض وتبسط

(١) المراد بالقيّد القابل الانقياد من قولهم فرسٌ و بعيرٌ قيّد وزان سيّد ويقال قؤودٌ ايضاً على فعول اي ذلولٌ منقاد . تعريب dirigeable